فصل 5

الحياة العائلية

obeikandl.com

obeikandl.com

آباء جدد طاعنون في السن

ما الذي يشترك به كل من ستروم ثورمند، وميك جاغر، ولوشيانو بافاروتي، وتشارلي تشابلن، وروبرت مردوخ؟

أنجبوا جميعاً أبناء بعد سن 55.

في الواقع، إذا استثنينا ميك جاغر، الذي أنجب طفلاً بعمر 55 سنة، أنجب كل الآخرين أطفالاً بعد عمر 65. كان ثورمند، وتشابلن، ومردوخ في الواقع فوق 70 سنة.

آباء جدد طاعنون في السن ليست نزعة خاصة بالأغنياء والمشاهير، على أي حال. اليوم في أمريكة، هناك مجموعة جديدة متزايدة من الرجال الذين يتناولون مسكنات ألم ويخرجون إلى حديقة المنزل للّعب، ليس مع أحفادهم، وإنما مع أبنائهم.

في السنوات الأخيرة، كان الجميع قد اهتموا كثيراً بأمهات جدد طاعنات في السن، وكيف أن الحياة المهنية للنساء إضافة إلى التقدم في معالجة العقم دفعت بسن الإنجاب إلى، بعد، 40.

لكن الشيء المفقود هو الاهتمام بالآباء، الذين تصبح أعمارهم أكبر على نحو متزايد، ولا يواجهون المشكلات البيولوجية نفسها التي تعانيها معظم النساء نحو سن الـ40.

في سنة 1980 في أمريكة، كان يولد 1 من كل 23 طفلاً لرجل يبلغ من العمر 50 سنة أو أكثر. في سنة 2002، ارتفعت تلك النسبة إلى 1 من كل 18. في الوقت نفسه، ارتفع معدل الولادات لآباء تتراوح أعمارهم بين 40-44 بنسبة 32 %، وارتفعت بين آباء أعمارهم بين 45-49 بنسبة 21 %. ارتفعت النسبة 10 % لآباء تتراوح أعمارهم بين 50-54 سنة.

obeikandl.com

يمكن رؤية نزعة مماثلة في العديد من الدول الغربية، بما في ذلك «إسرائيل»، وهولندة، والمملكة المتحدة، ونيوزلندة.

وجود آباء تجاوزت أعمارهم 62 سنة في حفل تخرج طلاب أمر شائع.

على الرغم من أن أغلبية الأبناء لا يزالون يولدون لآباء تتراوح أعمارهم بين 20-34، إلا أن نسبة الآباء الذين تتجاوز أعمارهم 40 سنة تزداد بسرعة.

عدد الأطفال المولودين في الولايات المتحدة، نسبة إلى عمر الأب، 2001-1975

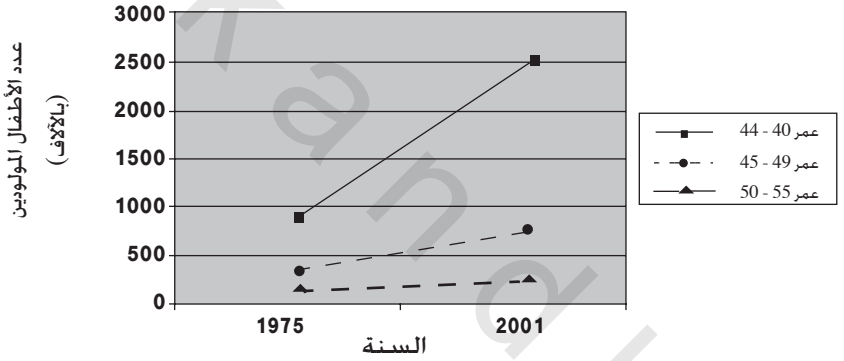

المصدر: المركز القومي للإحصائيات الصحية، 2002 .

جزء من السبب، بالطبع، هو أمهات جدد طاعنات في السن. في حين تؤخر النساء إنجاب الأطفال من أجل حياتهن العملية، فإن شركاءَهُن -الذين لا يزالون أكبر منهن ببضع سنوات- يفضلون على الأرجح تقليب صفحات فورتشن Fortune، بدلاً من الجلوس في غرف انتظار المخاض.

سبب آخر هو الطلاق. معروف تماماً أن نصف حالات الزواج تنتهي بالطلاق، لكن صحيح أيضاً أن الرجال يتزوجون مجدداً بسرعة أكبر، وبمعدل تكرار أعلى، مما تفعله النساء. تدعى تلك الظاهرة «آباء من جديد»، وتتمثّل بالمزيد من الرجال الذين يختبرون الأبوّة مرة ثانية مع زوجة أكثر شباباً. (يعكس تلك النزعة ازدياد إلغاء قطع القناة

الدافقة بنسبة تصل إلى 40 % منذ سنة 1990. ويقول أطباء المسالك البولية: إن الرجال الذين يفعلون ذلك يكونون دائماً في أواسط الأربعينيات أو أكبر عمراً، تزوجوا من نساء يصغرنهم بثماني سنوات على الأقل).

السبب الثالث هو مزيج من علم الأحياء والنجاح. يتمتع آباء جدد طاعنون في السن بالقدرة الجسدية على إنجاب أطفال، ويمكنهم الحصول على زوجات أكثر شباباً، ويبدو أن لديهم على الأرجح الوسائل اللازمة لإعالة أطفالهم لاحقاً في الحياة.

هل الآباء الجدد الطاعنون في السن آباءٌ أفضل؟ إنهم يتعرضون لبعض النقد بسبب كونهم طاعنين في السن ولا يمكنهم الاعتناء كما ينبغي بالرضّع، وربما لا يكون بعضهم على قيد الحياة عندما يصل أبناؤهم إلى منعطف حاسم في حياتهم. لكن كثيراً من الآباء الطاعنين في السن يقولون: إنهم يشعرون «بالتجدد»، وإنهم أكثر استرخاءً وأكثر اهتماماً بالحياة العائلية مما كانوا عليه (أو قد يكونون عليه) في أثناء حبوهم باكراً في حياتهم العملية. أيام عمل أطول أقل جذباً الآن. يقول الكثيرون أيضاً: إنهم يشعرون بأنهم أكثر حكمة واستجابة لأطفالهم، وبالرغم من أنهم يأخذون في الحسبان أن ساعة أجلهم قد أزفت إلا أنهم يركزون بتقدير أكبر على أولادهم.

أنا أب جديد طاعن في السن بنفسي، مع ولادة ابني الأصغر عندما كنت بعمر 48 سنة؛ وتمتد أعمار أولادي من 19 إلى 4 سنوات. يثير كون المرء أباً كبيراً في السن مخاوف مما قد يحدث إذا لم أكن موجوداً عندما يحتاجني أولادي. لكنه يعني أيضاً أن متع الحياة العائلية تستمر إلى الستينيات، وأن مراحل التقاعد وحياة الفراغ تتقلص، أو لا يعود لها وجود على الإطلاق. بين الفينة والأخرى، أرى في صف باليه أو اجتماع مدرسي آباءً شباناً إلى أحد جانبي الغرفة، لا يزال لديهم كثير ليتعلموه، وآباء جدداً كباراً في السن إلى الجانب الآخر، يتحلّون بهدوء أكبر. الفرق في العمر صارخ تماماً في المدارس العامة - في المدارس الخاصة، يختلط الآباء الجدد الطاعنون في السن جيداً مع الآخرين- لكننا نبرز تماماً في اجتماعات المدارس العامة.

الفرق بين المدارس العامة والخاصة ليس سوى أحد مظاهر التأثيرات التجارية والاجتماعية لهذه النزعة. يكون الآباء الجدد الطاعنون في السن على الأرجح أكثر ثراءً. بالنسبة لكثير من الرضّع، هذا يعني الحصول على ثروة وامتيازات قد لا تكون متوافرة لأطفال يولدون لآباء شبان مكافحين.

في الوقت نفسه، هؤلاء الأطفال جزء أيضاً من تجربة اجتماعية غير ملحوظة. لوقت طويل، كنا قد درسنا مشكلات حمل المراهقات، لكننا كنا قد أهملنا الطرف الآخر من المسألة – في سنة 2001، كان عدد الأطفال المولودين لآباء فوق 40 سنة مماثلاً لعدد الأطفال المولودين لأمهات تحت 19 سنة.

وبالرغم من وجود لكثير من المجموعات التي تدعم الأمهات الجدد كبار السن، إلا أنه يبدو أن آباء كبار السن منسيون تماماً، يعتنون بأنفسهم مع القليل من الإرشادات، أو الكتب، أو المنظمات التي تخدم احتياجاتهم. ينبغي أن تلاحظ «المنظمة الأمريكية للمتقاعدين» ذلك – ربما ننضم إليك في سن 50، لكن عدداً متزايداً منا لا يزال لديه أطفال في المدرسة الابتدائية.

لكل هذا تأثيرات كبيرة في مجتمعنا وأنظمة الدعم فيه. يحتاج آباء جدد طاعنون في السن إلى العمل وقتاً أطول، والتقاعد في وقت متأخر، من أجل دفع رسوم الجامعات ونفقات أخرى لتربية أطفال في مراحل لاحقة من الحياة.

يحتاجون إلى سلسلة جديدة كاملة من الأنشطة التي تتطلب مجهوداً بدنياً أقل وذهنياً أكثر، ويمكنهم القيام بها مع أبنائهم من كل الأعمار.

يبدو على الأرجح أن آباء جدداً طاعنين في السن سيكونون أكبر المستهلكين لمشروبات الطاقة، وكتب إرشاد الوالدين؛ نظراً لانشغالهم مع عائلاتهم وابتعادهم عن ملاعب الغولف مقارنة بنظرائهم الذين أصبحت أعشاشهم خاوية.

سيحتاج الأطفال، الذين سيكونون على الأرجح مجرد أطفال أو أبناء على متن آخر عربة في القطار، إلى أشخاص آخرين يمكنهم القيام بأشياء يفعلها الآباء الأصغر سناً

عادة، مثل الاشتراك في الرياضة وألعاب تتطلب قوة جسدية كبيرة. من ناحية أخرى، سيكون لدى الأولاد قدوة أكبر سناً - مما يجعلهم أقل اهتماماً بالجعة وأكثر اهتماماً بالنبيذ، أقل اهتماماً بالقيادة السريعة وأكثر اهتماماً بالقيادة الآمنة، وأقل تمرداً وأكثر محافظةً بوجه عام.

ربما ينبغي علينا أيضاً إعادة النظر في نظام دعم الأهل الطاعنين في السن؛ لأن العديد من هؤلاء سيحتاجون الآن إلى مساعدة قبل أن يستطيع أولادهم تقديمها لهم.

يصبح آباء جدد طاعنون في السن قوة سياسية جديدة. حالياً في المملكة المتحدة، كان الآباء المطلقون قد أظهروا قوتهم في سعيهم للحصول على حقوقهم الأبوية، وظهروا في العناوين الرئيسة لأخبار العالم باقتحامهم لقصر بيكنغهام.

أخيراً، إذا كانت الفكرة السائدة أن الناخبين في العشرين من العمر يركزون عادة على الفرص الشخصية، وأنَّ الناخبين في الثلاثين والأربعين يركزون على قضايا العائلة، والناخبين في الخمسين والستين يركزون على رسوم الكليات والتقاعد، والناخبين فوق 65 سنة يركزون على الضمان الاجتماعي والرعاية الصحية، فإن آباء جُدداً طاعنين في السن لا يلتزمون بتلك المتوالية. سيركزون الآن على أطفالهم في الأربعين والخمسين من العمر، رسوم الكليات في الستين والسبعين من العمر، و...

obeikandl.com

مالكو الحيوانات الأليفة

يهيم الأمريكيون حباً بالحيوانات الأليفة. لم يجرؤ رئيس منذ تشستر أيه. آرثر على الانتقال إلى البيت الأبيض دون كلب أو قط، واصطحب بعض الرؤساء في القرن التاسع عشر ماعزاً، وأبقاراً وديوكاً أيضاً. بالتأكيد، تقدم الحيوانات الأليفة الدفء والصُّحبة. إنها الأصدقاء المفضلون لدينا. كانت عدّة دراسات قد أظهرت أنها تخفّض ضغط دمنا، وتخفف من توترنا، وتمنع أمراض القلب، وتقي من الاكتئاب.

إذاً، ما الجديد بشأن القطط والكلاب؟ هناك سلالة جديدة من الحيوانات الأليفة، لها دور جديد في مجتمعنا. إنها تحتل مكانة الأطفال في الصُّحبة رقم واحد في أمريكة. وكما تتم معاملة طفل جديد في المنزل، تحصل بعض الحيوانات الأليفة على حياة جديدة من الرفاهية، مع بطاقة إكسبريس Express أمريكية سوداء، وبطاقة مسافر دائم بلاتينية، وخادمة دائمة. كانت قد حققت ما حققته حفنة قبلها – فرصة مواجهة مشكلات الطبقة المترفة والتمتع بحياة الطبقة المترفة. في أمريكة اليوم، تعيش أفضل 1% من الحيوانات الأليفة حياة أفضل من 99 % من سكان العالم.

إليك القصة. تضم 63 % من الأسر الأمريكية حيوانات أليفة، ارتفاعاً من 56 % سنة 1988. هناك 44 مليون أسرة لديها على الأقل كلب واحد، و38 مليون أسرة لديها على الأقل قط واحد (على الرغم من أن المثير للاهتمام أن عدد القطط في أمريكة يفوق عدد الكلاب بنحو 17 مليوناً، ويعزى السبب في ذلك إلى أن مالكي القطط يحتفظون على الأرجح بأكثر من قط واحد).

أضف إلى تلك الأسر عدداً آخرَ من الأشخاص الذين يمتلكون أسماكاً وطيوراً وأفاعي، وكل الحيوانات الصغيرة الأخرى، وستكون نسبة الأسر التي تقتني حيوانات أليفة في أمريكة أكثر من ضعف الأسر التي لديها أولاد. في الواقع، في السنوات الخمس

عشرة الماضية، انخفضت نسبة الأسر التي لديها أولاد، وارتفعت نسبة الأسر التي تقتني حيوانات أليفة بالمقدار نفسه عملياً.

الأسر الأمريكية التي لديها حيوانات أليفة أو أولاد

2005-1990

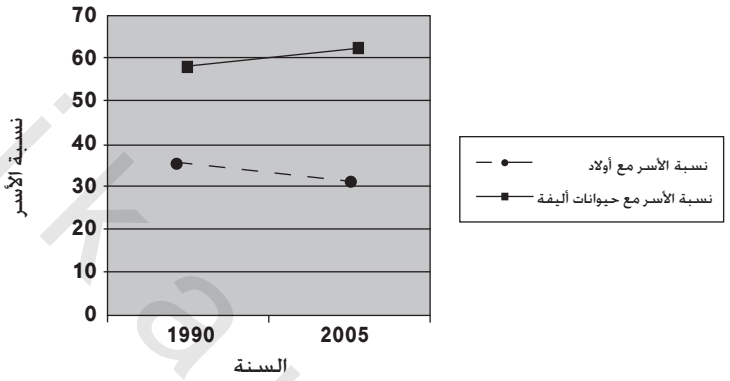

المصدر: مصنّعو منتجات الحيوانات الأليفة الأمريكيون، 1990، 2005-06؛ مكتب الإحصاء الأمريكي، 2006.

وعلى نحو متزايد، تعيش النساء الآن وحدهن أو يقمن بالإشراف على العائلة. هذه تغييرات ديمغرافية عميقة سيكون لها تأثيرات كبيرة في بلدنا وبعض الدول الصغيرة.

ليست مصادفة أن يكون عدد الأسر التي ليس لديها أولاد قد ارتفع، وعدد الحيوانات الأليفة المدللة قد ارتفع أيضاً. وفقاً لمدير أحد المتاجر الكبرى المتخصصة باحتياجات الحيوانات الأليفة، فإن المشتري العادي لمنتج مخصص لحيوان أليف هو امرأة، عمرها بين 24-45، وليس لديها أولاد. نمط العيش في أمريكة يعني المزيد من التأخر في إنجاب أولاد، لكن سرعة أكبر في اقتناء حيوان أليف. كان معتاداً أن يكون الأولاد القوة المحركة وراء اقتناء حيوانات أليفة – يشاهد الأطفال الجراء ويزعجون والديهم حتى يستسلموا أخيراً. ومهما تكن الموارد التي تذهب للحيوانات الأليفة فإنها تأتي من النفقات المخصصة للأولاد. إنهم يشتركون في الموارد التي يمتلكها الوالدان.

ترث الحيوانات الأليفة الآن كل شيء. لم يعد الأمر مقصوراً على أسر من الطبقة الوسطى ليس لديها أولاد، وإنما هناك أيضاً أسر أضحت أعشاشها خاوية، ويقضي

الشريكان المزيد من السنوات معاً بعد أن يرحل أولادهما عنهما. كانت إطالة مدة الحياة وحدها قد ضاعفت عدد سنوات خلو العش من العصافير خمس مرات بعد ذهاب الأولاد إلى الجامعات. لهذا سواء كان الأمر يتعلق براشدين لم ينجبوا أطفالاً قط، أو راشدين رحل عنهم أولئك الذين قاموا بتربيتهم، هناك المزيد والمزيد من الناس في أمريكة الذين، بدلاً من البقاء وحدهم، يقتنون المزيد من الحيوانات الأليفة ويعاملونها مثل أولادهم.

ومن الواضح أن تلك حيوانات أليفة محظوظة للغاية. في سنة 2006، أنفق الأمريكيون نحو 40 مليار دولار على حيواناتهم الأليفة -ارتفاعاً من 17 ملياراً في بداية التسعينيات- مما جعل الإنفاق على الحيوانات الأليفة واحداً من أعلى عشرة قطاعات تجزئة في الولايات المتحدة. تشكل المنتجات المخصصة للحيوانات الأليفة اليوم صناعة أكبر من الدمى، أو الحلويات، أو أجهزة الحاسب. لكن ليس ذلك السوق الضخم هو الشيء الجديد - إن حجم سوق المنتجات الفخمة المخصصة للحيوانات الأليفة هو الجديد. تحصل 1 % من الحيوانات الأليفة على نحو 40 % من كل الهدايا الجديدة.

من يحتاج إلى أطفال عندما يكون لديه حيوان أليف؟ يشتري 8 من كل 10 مالكين، و2 من كل 3 مالكين للقطط، هدايا لحيواناتهم الأليفة بمناسبة عيد ميلادها أو في العطلات. التأمين على صحة الحيوانات الأليفة في تصاعد مستمر. 70 % من المالكين الذين يقومون بالتأمين على حيواناتهم الأليفة ومالكون آخرون مهتمون بالتأمين يقولون: إنهم «سيدفعون أي مبلغ» لإنقاذ حياة حيوانهم. في سنة 2004، اشترى الأمريكيون بقيمة 14 مليار دولار من أطعمة الحيوانات الأليفة، بما في ذلك مبالغ قياسية لأطعمة مخصصة للبشر، ونباتية، ومنخفضة السعرات الحرارية، وعضوية لحيواناتنا.

في سنة 2006، أنفقنا ما يزيد عن 9 مليارات دولار على المعالجات الطبية والتجهيزات المخصصة لحيواناتنا الأليفة - ولا تعتقد أن الأمر يقتصر فقط على أطواق وأعمدة حك الظهر. اشترينا مبيضات أسنان، ومعطرات أنفاس، وملمع فرو، وكنزات، ومجوهرات تقليدية، وأيضاً مقاعد سيارات للحيوانات. اشترينا أدوية لمعالجة البثور. و«نظارات» لحماية عيون كلابنا من الوهج عندما تركب في سيارات مكشوفة. مرهم شمسي للجراء.

ملمع أظفار. مراهم لمعالجة تجعدات جلود الحيوانات. عطور مثل «باوفيوم» Pawfume (كان K#9، لبعض الوقت، خاصة ببارنيز Barneys). وكذلك اشترينا لحيواناتنا الأليفة عدسات لاصقة.

يدفع بعض مالكو الحيوانات الأليفة الآلاف، أو حتى عشرات الآلاف، لمنازل مبينة خصيصاً للكلاب. كانت مؤسسات تربية الكلاب قد عقدت اتفاقيات مع فنادق فخمة تقدم خدمات النزهة والسباحة والتلفاز والوجبات، والعناية بالأظفار للكلاب. قام فندق ناشفل لويس Nashville Loews (المخصص للبشر) أخيراً بتنظيم خدمة «كلب الموسيقا» حيث يمكنك، مقابل 1600 دولار، إرسال كلبك في رحلة بسيارة فخمة إلى إستوديو وتسجيل نباحه على قرص مضغوط. يتضمن العرض التدليك للكلب.

وكما يعرف كل والد محب، هناك خدمات اجتماعية. تلعب الحيوانات الأليفة في مجموعات لتشجيع الاندماج الاجتماعي. خدمات مواعدة الكلاب، و، آه، الزفاف. منازل تقاعد للحيوانات، حيث يتم تجميع تلك التي تعاني حساسية مفرطة معاً؛ لتلعب بين جلسات المعالجة. وبالطبع، الحجارة التذكارية، وطقوس الحزن على الحيوانات الأليفة. هل تعرف أنك تستطيع صنع ماسة من بقايا حيوانك الأليف المحبوب؟ من الواضح أن 20 % من كل الماس الصناعي يتشكل بتلك الطريقة.

ليس مستغرباً أن يكون «أنا ومارلي: الحياة والحب مع أسوأ كلب في العالم» قد كان معظم سنتي 2005 و2006 على قائمة أفضل الكتب مبيعاً. وكان «لاسي» الذي أُعيد إنتاجه سنة 2006 واحداً من أكثر الأفلام نجاحاً.

ما الذي يرمز إليه محبو الحيوانات الأليفة؟

الواضح أن سوق المنتجات والخدمات المخصصة للحيوانات الأليفة ستستمر في الازدهار. ولن يقتصر الأمر بعد الآن على متاجر صغيرة مخصصة للحيوانات الأليفة، بل سيتعداه إلى أسواق كبيرة تضم «متاجر للحيوانات» لتلبية طلبات محبي الحيوانات الأليفة. حتى «شركات البشر» تريد الاشتراك في ذلك. أقامت شركة بول ميتشل Paul

Mitchell لمستحضرات العناية بالشعر خطاً متخصصاً بالفرو فقط. تبيع أوماها Omaha شرائح لحم «مخصصة للحيوانات الأليفة» (على الرغم، على ما يبدو، من أنها غير مخصصة للأبقار). تدخل شركات الملابس والدمى، والمفارش سوق المنتجات المخصصة للحيوانات الأليفة.

هذه أنباء مهمة لطبابة الحيوانات أيضاً. مع كل تلك الأطعمة الجيدة والمعالجة المستمرة، تعيش الحيوانات الأليفة ثلاثة أو أربعة أضعاف ما كانت تعيشه قبل 30 سنة مضت، لهذا فيما كان الأطباء البيطريون معتادين على معالجة داء وسل الكلاب، يعالجون الآن البدانة، والفشل الكلوي، وتصلب الشرايين. تشهد المراكز البيطرية في كل أنحاء الولايات المتحدة انبثاق اختصاصات فرعية جديدة في أمراض القلب، والأعصاب، والجلد.

ربما ليس سيئاً جداً أن يكون المرء «مريضاً مثل كلب»؟

إلى جانب المنتجات والخدمات المخصصة للحيوانات الأليفة، ينبغي أن ينتبه المبتكرون إلى الأشياء التي يشترك بها البشر والحيوانات. في سنة 2005، كشفت هوندا Honda النقاب عن واو Wow. سيارة تجريبية لأشخاص ينقلون كلاباً معهم بانتظام. يتحول وسط الصفوف الثلاثة من المقاعد إلى حظيرة. الأرضية مغطاة بالخشب لسهولة التنظيف. الباب الخلفي فيه صناديق لوضع الرسن، والفرشاة، ومعدات أخرى. ويعمل أشخاص من أجل الحيوانات الأليفة أكثر من العكس. يمكن أن يجني شخص 200 دولار في الساعة مقابل اصطحاب مجموعة من الكلاب في نزهة حول المبنى. يجني مصفف شعر الحيوانات الأليفة 100 دولار في الساعة إن كان يعمل لحيوانات النخبة.

ثم هناك المساحات العامة. لا تزال المتنزهات الوطنية ترفض استقبال حيوانات أليفة (إذا كان لديك كلب فإنه سيجتذب أسد جبال)، لكن شيئاً فشيئاً، الفنادق لا تسمح باصطحاب الحيوانات الأليفة فحسب، وإنما تعرض أسرّة وملابس حمام لها أيضاً. يقدم عدد متزايد من المطاعم «أكياس كلاب» للاستهلاك المباشر. تضع المزيد من المتاجر أوعية من الماء لفيدو Fido حتى يستطيع «الأب والأم» التسوق.

obeikandl.com

انظر إلى الحيوانات الأليفة في العمل، أيضاً. تضاعف عدد الشركات التي تشترك في المعرض الدولي للعناية بالحيوانات الأليفة «خذ كلبك إلى يوم عمل» بين سنتي 2003 و2005. لم نتدبر أمر العناية بالأطفال في أماكن العمل بعد، لكن ألا ينبغي أن تكون العناية بالكلب أسهل؟

يدفع محبو الحيوانات الأليفة نزعة لإلغاء التمييز في القانون بين الحيوانات الأليفة والبشر. في سنة 2004، منحت هيئة محلفين في كاليفورنيا مالك حيوان أليف تعويضاً قياسياً بقيمة 39.000 دولار في دعوى سوء تصرف مركز بيطري، وأقرّت أنه بالرغم من عدّ الكلب مجرد «ملكية»، إلا أن قيمته العادلة في السوق لا تساوي أكثر من 10 دولارات. في سنة 2007، دفعت فضيحة أطعمة الحيوانات المسمّمة محامين إلى رفع دعاوى قضائية لما كان مماثلاً برأيهم للقتل العمد. قد تشكل هذه النزعة انتصاراً كبيراً لمحبي الحيوانات الأليفة، لكن احترس من نشطاء حقوق الحيوان على الجانب الآخر الذين يظنون أن امتلاك حيوان أليف غير إنساني. إذا لم تكن الحيوانات الأليفة ملكية، في نظر المحاكم، فلماذا يتم السماح للناس بامتلاكها إذاً؟

عنصر جديد آخر هو أن العلماء يقولون منذ وقت طويل: إنه ليس لتلك الحيوانات اللطيفة سوى الغريزة، وإنها لا تمتلك مشاعرَ أو عواطف. كان مجتمع العلم قد قلب ذلك الآن رأساً على عقب، واعترف بما هو واضح - الحيوانات الأليفة تفكر وتتصرف وتحب، مثل أطفال حقيقيين تماماً. ربما على نطاق أضيق كثيراً، الرابط العاطفي بين الحيوان الأليف ومالكه أو مالكته، خاصة في منزل ليس فيه أولاد، حقيقي ولا ينبغي التقليل من شأنه البتة. عندما يتعلق الأمر بمن نرعاهم، ليس هناك شيء لا نمنحهم إياه، حتى عندما يكونون قططاً وكلاباً.

أهل يدللون أطفالهم

هناك موضوعات قليلة تثير شغفاً لدى الأمريكيين مثل تربية أطفالهم. لا يزال د. بنجامين سبوك عملياً مثار اهتمام العائلة -بعد خمسين سنة (و50 مليون نسخة) من صدور كتابه المميز العناية بالرضيع والطفل- ويلتقط الأمريكيون الآن كتابات من جاء خلفه بالملايين.

في سنة 1975، نشرت دور النشر الأمريكية الرئيسة سبعة وخمسين كتاباً عن تربية الأولاد؛ وفي سنة 2003، نشرت ضعف ذلك الرقم اثنتي عشرة مرة. هناك نظرياً مئات المجلات وآلاف المواقع الإلكترونية التي تقدم النصيحة بشأن كيفية التعامل مع الخدّج والرضّع والأطفال، والمراهقين. وعمل منتجات الأطفال -الذي يدعم إلى حدٍ ما كل تلك الإصدارات- أضحى الآن صناعة بـ7 مليارات دولار.

المجال ليس كبيراً فحسب، وإنما مثيراً للجدل أيضاً. بالرغم من أن جزءاً من عبقرية د. سبوك بدا أنه يخاطب عملياً كل والد في أمريكة، فإن المجال اليوم منقسم على نفسه ويشهد نزاعاً مريراً، مثل إخوة مراهقين يتشاجرون على جهاز دي-في-دي DVD جديد أحضره الأب. كان يتم اعتبار د. سبوك فيما مضى صوت العقل في التربية الناجحة، إلا أنه الآن عرضة لهجوم شرس من قبل أشخاص مثل جيمس دوبسن؛ لأنه كان متساهلاً جداً («ينبغي أن يكون لدى الوالد القول الفصل»)، ويتم عدّه من قبل أشخاص آخرين مثل د. سيرز متشدداً للغاية («يحتاج الأطفال إلى الانضباط، وليس الاستقلالية»).

تشعر بهذا الانقسام الحاد عندما يكون لك طفل هذه الأيام. ها أنت ذا، تفكر في أن تنضم إلى صفوف المباركين -أو المتشاجرين، أو مهما يكن رأيك في تربية الأولاد- وتفخر بذلك، فيما تكون في الواقع موضع تمحيص خبراء التربية وأتباعهم. لم تخطط للإرضاع الطبيعي؟ يا لها من أنانية! الإرضاع الطبيعي علانية؟ يا لها من همجية!

طفلك ينام معك في السرير؟ اتكالية. تعاقب طفلك باحتجازه؟ يا لك من أمريكي جاهل، مثيرٍ للشجن!

وسط تلك الانقسامات الحادة من الصعب العثور هذه الأيام على أي شيء يتفق عليه الآباء الأمريكيون. لكنني أظن أنني وجدت شيئين. أولاً، يظن معظم الآباء في أمريكة أنهم شديدون. ثانياً، إنهم واثقون تماماً أنهم وحدهم في ذلك.

في سنة 2006، أجرينا استطلاعاً لآراء أمريكيين لديهم أطفال تحت 18 سنة ويعيشون معهم في المنزل، وقسمناهم إلى مجموعات مختلفة وفقاً لمعيار التساهل/التشدد. لم تكن بعض الأشياء مفاجئة – يذهب الآباء المتشددون إلى الكنيسة كل أسبوع أو أكثر، يعرّفون أنفسهم بأنهم محافظون، يعيشون في الجنوب، وهم أكبر سناً. الآباء الأقل تشدداً يافعون، متحررون، يعيشون في الشمال الشرقي، وترعرعوا على أيدي آباء متساهلين. الرجال أكثر تشدداً بقليل من النساء. البروتستانت أكثر تشدداً قليلاً من الكاثوليك.

لكن عندما تنظر إلى المجموعة الكلية من الآباء الذين تم استطلاع آرائهم، تدرك أن أحد المبادئ الموحدة هي أن معظم الآباء يظنون أنهم قساة. يقول 55 % من الآباء: إنهم صارمون، مقارنة بـ37 % فقط يقولون: إنهم متساهلون. يقول 52 % من الآباء (و58 % من الآباء الأكبر سناً): إنه من الأفضل توجيه الأولاد «بانضباط وحزم» بدلاً من «الحنان والتشجيع». وبنسبة أكثر من 2 إلى 1، يقول آباء أمريكيون: إن جعل أبنائهم مواطنين صالحين أكثر أهمية من تحقيق السعادة لهم.

الغريب أن الآباء الأمريكيين يقولون بنسبة كبيرة: إن آباء آخرين لا يبذلون جهداً كافياً. تقول نسبة ساحقة تبلغ 91%: إن «معظم الآباء اليوم متساهلون كثيراً مع أطفالهم»، مقارنة بنسبة 3 % فقط تقول: إن الآباء متشددون للغاية اليوم.

إذاً لدينا مجموعة من الآباء الذين يظنون أنهم صارمون، لكن ليس هناك أحد غيرهم في ذلك. الحقيقة هي أنهم نصف محقين – والأمر يتعلق بالآخرين. اليوم في أمريكة، كل الآباء تقريباً أكثر تساهلاً مع أطفالهم مما كانت عليه الحال قبل جيل مضى، بالرغم من وصفهم لأنفسهم بأنهم آباء وأمهات سيئون. عندما يتعلق الأمر بالتساهل، يدخل الآباء اليوم، مثل عنوان كتاب شهير، في حالة إنكار.

يبدأ الأمر مع هؤلاء الأطفال في الليل. في النصف الأول من القرن العشرين، كان يُطلب إلى الوالدين وضع موعد محدد لنوم الأطفال، حتى إذا كان ذلك يعني «جعلهم يبكون» في منتصف الليل. في الخمسينيات، تم اعتبار د. سبوك «متساهلاً» لاقتراحه أنه من الصائب، أحياناً، الذهاب إلى الطفل وتهدئته - بالرغم من أنه قال، أيضاً، في نسخ لاحقة من كتابه: إنه من الأفضل ترك الأطفال يبكون وحدهم. في الثمانينيات، نصح د. ريتشارد فيربر من هارفرد الآباء في كتابه الشهير حل مشكلات نوم طفلك بترك الأطفال يتعلمون بمرور الوقت أن يبكوا حتى يصمتوا من تلقاء أنفسهم - أسلوب غالباً ما تتم الإشارة إليه الآن بـ «طريقة فيربر».

لكن ما رأي الآباء الأمريكيين في طريقة فيربر؟ كما هو معتاد، يعتمدها بعضهم، لكن معظمهم يعتقد أنها مثل تعليق الطفل في مشنقة. أعلن 60 % من الآباء الذين استطلعنا آراءهم أنه «ينبغي تهدئة الأطفال كلما بكوا» - مقارنة بنسبة 35 % فقط قالوا: إنه ينبغي ترك الأطفال يبكون حتى يصمتوا من تلقاء أنفسهم ويخلدوا إلى النوم. وبين الأمهات، اللواتي يتخذن على ما يبدو معظم هذه القرارات، كانت النسبة 66 مقابل 30 - أو أكثر من 2 إلى 1 - لصالح تهدئة الطفل كلما بكى. (يتكلم الآباء كثيراً، لكنهم يصبحون بطريقة ما أكثر قدرة على النوم عبر الصرخات).

ما هو الحل الأقرب إلى وجهة نظرك؟			
	أمهات	الجميع	آباء
ينبغي تهدئة الأطفال كلما بكوا	60	48	66
ينبغي السماح للأطفال بالبكاء في الليل: حتى يتعلموا كيف يخلدون إلى النوم	35	44	30
لا أعرف	5	8	4

عندما يتعلق الأمر بالأطفال والنوم، كان مركز الجاذبية الاجتماعية كاملاً قد انتقل إلى يسار د. سبوك، الذي كان يُعدّ متساهلاً في أيامه. كان د. فيربر نفسه قد ذهب إلى أقصى حد في نسخة 2006 من كتابه لتوضيح أنه لم يستعمل تعبير «البكاء حتى الصمت» البتة، وأن ما يدافع عنه هو «الانتظار المتدرج».

ربما يكون الأكثر إثارة للاهتمام في تربية الأولاد هو صفعهم على أردافهم. في سنة 1968، كان هناك شبه إجماع عالمي على العقوبة البدنية، وكان 94 % من الأمريكيين

يقولون: إنه لا بأس بصفع أطفالهم على أردافهم. بحلول سنة 1994، تراجعت الموافقة إلى 68 %، وثبتت عند 65 % تقريباً منذ ذلك الوقت. على الرغم من أن 65 % لا تزال نسبة أغلبية، إلا أن هناك صعوبة في العثور على نزعة اجتماعية أخرى تراجعت إلى هذا الحد وبتلك السرعة. حتى تأييد عقوبة الموت، التي تحظى الآن بموافقة 66 % من الناس، تراجعت من 80 % فقط.

كما لو أن المواقف تجاه التدريب على النوم والكلام ليست كافية لإظهار تساهل أمريكة المتزايد، ما أدهشني حقاً هو ما يقوله الآباء عن طريقة تعاملهم فعلاً مع أولادهم اليافعين والمراهقين. سأل استطلاعنا آباءً عما سيفعلونه إذا قام ابن يبلغ من العمر 9 سنوات بشتمهم وقال: إنه يكرههم. كانت الإجابة التي تكررت كثيراً من والدين من الجنسين ومختلف الأعمار: «سأجلس وأساله لماذا يشعر بتلك الطريقة» و«أقول له: إنني آسف؛ لأنه يشعر بتلك الطريقة، لكنني سأحبه على أي حال». (إذا كانت ابنة، كانت أعداد من يجيبون بتلك الطريقة أكبر). قال 14 % فقط من الآباء: إنهم سيضربون الابن، وبين آباء تحت 35 سنة، كان الذين سيضربون أقل من النصف بقليل. قال بالكاد 2 من كل 10: إنهم سيحرمون الطفل من كل الامتيازات أسبوعاً على الأقل.

افترض أن لديك ابناً / ابنة في التاسعة من العمر شتمك بكلمة وقال: إنه / إنها يكرهك. ماذا ستكون ردة فعلك على الأرجح؟
إجابات متعددة

تشير المجموعتان من الأرقام إلى ابن / ابنة	الجميع	آباء	أمهات	والد أصغر من 35	والد أكبر من 35
تجلس وتسأله / تسألها لماذا يشعر بتلك الطريقة؟	64/58	59/60	66/57	63/53	64/61
تخبره بأنك آسف لأنه / لأنها يشعر بتلك الطريقة، لكنك تحبه / تحبها على أي حال	57/56	51/44	60/63	67/63	57/51
ترسله / ترسلها إلى غرفته / غرفتها	46/44	38/37	50/49	53/51	41/40
تحرمه/ تحرمها من الامتيازات أقل من أسبوع	33/34	27/39	35/31	39/41	28/30
تحرمه/ تحرمها من الامتيازات أسبوعاً أو أكثر	25/21	24/22	25/21	26/15	24/25
تضربه/ تضربها على المؤخرة	14/14	2/18	20/11	20/8	10/17
لا أفعل شيئاً	2/0	4/0	1/0	1/0	2/0
لا أعرف	1/3	3/1	0/4	1/7	1/1

تقول: لا بأس – لكن الطفل يبلغ من العمر 9 سنوات فقط، وهو يختبر بعض الاستقلالية الجديدة عليه. لكننا سألنا الآباء أيضاً ماذا ستكون أول ردة فعل لهم إذا كان ابنهم الذي يبلغ من العمر 15 سنة يتعاطى عقاقير غير مصرح بها. وهذه المرة، قال 3 من كل 4: إنهم سيجلسون ويتكلمون – قال تقريباً 1 من كل 10: إنهم سيحافظون على سر قيام أبنائهم بتعاطي عقاقير غير مصرح بها. كان 15 % فقط من الآباء سيحرمون أبناءهم من الامتيازات (أقل من 1 من كل 10 أمهات ستحرم ابنها منها)، ولم يقل أحد عملياً: إنهم سيضربون أبناءهم.

افترض أن لديك ابناً / ابنة في الخامسة عشرة من العمر واكتشفت أنه / أنها يختبر عقاقير غير مصرح بها. ماذا ستكون ردة فعلك الأولى على الأرجح؟

تشير المجموعتان من الأرقام إلى ابن / ابنة	الجميع	آباء	أمهات	والد أصغر من 35	والد أكبر من 35
اجلس وتسأله / تسألها لماذا يفعل ذلك؟	66/68	70/55	63/75	68/73	63/65
احرمه / احرمها من الامتيازات شهراً أو أكثر	6/10	7/16	5/6	4/4	7/13
تخبره عن تجاربك الخاصة مع العقاقير غير المصرح بها	8/7	9/11	7/5	8/8	7/6
احرمه / احرمها من الامتيازات أقل من أسبوع	8/6	6/13	9/3	9/6	6/7
الاتصال بالشرطة	4/4	3/3	4/4	3/1	4/5
احصل على استشارة / ترسله / ترسلها إلى برنامج إعادة تأهيل	2/1	0/0	4/1	1/1	3/0
تتكلم إليه / إليها عن الضغوط / تخبره / تخبرها عن مخاطر / عواقب استعمال العقاقير الممنوعة	1/1	3/1	0/2	0/1	2/1
تضربه / تضربها	0/0	0/0	0/0	0/0	1/0
أخرى	3/0	0/0	4/0	1/0	4/0
لا أعرف	3/3	2/1	4/4	5/4	2/2

تم استبدال «احتفظ بالعصا ودلّل الولد» بـ «اشترك في حديث جيد معه من القلب إلى القلب». لن أطلق أحكاماً على أي من الطريقتين، لكنني سأراقب كم كان هذا التغير مثيراً. في حين يحصل المزيد من الأولاد على المزيد من الحرية، يذهب المزيد من الراشدين إلى

السجن – كان القضاة، الذين أثارتهم التغييرات في القانون، قد ذهبوا في اتجاه معاكس للآباء. هل ينقل الآباء المزيد من المشكلات إلى النظام؟ ربما.

نعم، تشرح بيانات استطلاعات الرأي نفسها بنفسها – لهذا ربما يقول الآباء إنهم: سيجلسون ويتكلمون، في حين يقومون في الواقع بالصراخ والضرب. لكن هذه هي المجموعة نفسها التي تتقيد بالتشدد في وصف أفضل طريقة لتربية الأطفال. إنهم يعتقدون أنَّ هذا تشددٌ.

ما الذي يعنيه كل هذا التساهل المُحدث لأمريكة؟

إنه سؤال شائك؛ لأن كل معسكر من الآباء يستلهم شغفه ليس من محبته للأبناء فقط، وإنما من الإحساس بأن مستقبل العالم يعتمد على فوزه. سيقول المحافظون الاجتماعيون إن تساهلاً أكبر، كما وصفناه هنا، يعني أن الأطفال سيكبرون أنانيين، لا يحترمون السلطة، ويصبحون مجرمين. سيشيرون حتى إلى قادة سود متحررين عبر أمريكة قالوا علانية: إن الضرب بين الحين والآخر من الأم أو الجدّة هو ما أبقاهم على قيد الحياة. وضمن دراستنا، سيشيرون إلى حقيقة أنه في أسفل قائمة الآباء الصارمين، إلى جانب المتحررين، هناك سكان الشمال الشرقي، والأشخاص الذين ترعرعوا على أيدي آباء متساهلين – هناك أيضاً، وربما يكون ذلك مفاجئاً، الآباء في الأرياف. في أثناء مدة تراجع معدل الجريمة على نحو كبير في التسعينيات، كان معدل الجريمة في الأرياف قد تراجع ببطء أكبر مما حدث في الضواحي أو المدن.

سيشير المتحررون، من ناحية أخرى، إلى عقود من الدراسات التي تقول: إنه ينتج عن ضرب الأطفال خضوع على المدى القصير، لكنه يؤدي إلى مشكلات أكثر حدة على المدى الطويل – بما في ذلك، للمفارقة، التمرد. لهذا سيعني تساهلاً أكبر في أمريكة، أخيراً، مجتمعاً أكثر صحة.

لكن في كلتا الحالتين، القصد أن معاقبة الأطفال أضحت غير مقبولة اجتماعياً. كنت على متن طائرة أخيراً، حيث هدّد أب بإلغاء رحلة تزلج إذا لم يحسن أولاده التصرف.

وبدا الركاب الآخرون منزعجين تماماً -من رد فعل الأب- حتى إنني فكرت أنه سيكون هناك تدخل لاعتقاله. إلغاء رحلة تزلج - كان ذلك تشدداً أكثر من اللازم. مجدداً، لا أعرف من كان محقاً أو مخطئاً - لكن احذروا فقط إذا عاقبتم أطفالكم علانية؛ لأن معظم الناس سينحازون إلى جانب الأولاد.

ينجم عن وجود آباء متساهلين اليوم تأثيرات تجارية حقيقية. في التسعينيات، كان يُظن أن أكثر ما يحتاج إليه الآباء المشغولون هو التقانة -مثل برامج حجب الإنترنت- لإبعاد التأثيرات السيئة قبل أن تدخل المنزل وتثير كل أنواع المشكلات العائلية. لكن كما تبين لاحقاً - لا أحد يستعملها. في سنة 2001، بعد أكثر من سنتين على توافر ميزة حجب برامج معينة في أجهزة التلفاز، لم يستعملها سوى أقل من 1 من كل 10 آباء. أظهر استطلاعنا أنه على الرغم من أن 85 % من الآباء الذين لديهم أولاد يستعملون الحاسب يشرفون عليهم، إلا أن أقل من 1 من كل 3 يفعلون ذلك باستعمال برامج مخصصة. يقول آباء متساهلون اليوم: إنهم بحاجة إلى المزيد من الأدوات التقنية الذكية، لكن ما يحتاجون إليه فعلاً هو إرشادهم حول طريقة القيام بـ «المحادثة».

في الأيام الخوالي، كان الأطفال يحصلون على العصا فقط، أو على الأقل توبيخ شديد. اليوم، يتم حملهم، وتهدئتهم، والتفاوض معهم لوقت طويل. ليس هناك وضوح فيما إذا كنا نتجه فعلاً إلى أن نصبح مجتمعاً أقل عنفاً، أو أن المزيد من الناس لن يستمعوا إلى السلطات.

ربما يكون «أهل يدلّلون أطفالهم» أكثر من نزعة مجهرية - تؤثر هذه النزعة في ملايين الآباء، ولها نتائج مجتمعية كبيرة. لكن الشيء الأكثر بدهية بشأنها هو كيف يفكر الآباء في أنهم صارمون، في حين هم في الحقيقة قد أعادوا على الأقل تعريف التشدد، وحولوه من حزام خلف الظهر إلى حديث لطيف مع الأولاد.

obeikandi.com

الصورة الدولية

إذاً أمريكة تصبح أكثر «اهتماماً بالأولاد»، مع كل ذلك الاندفاع لتهدئة الأطفال الذين يبكون في منتصف الليل والتراجع السريع في استعمال العقوبة البدنية. لكن نظرة على نزعات حول العالم تظهر أن الولايات المتحدة ربما لا تزال أكثر تشدداً من باقي العالم عندما يتعلق الأمر بالضرب، لكنها ربما ليست متشددة بما يكفي عندما يتعلق الأمر بالانضباط الأكاديمي.

على الرغم من أن الأمريكيين لا يوافقون على العقوبة البدنية بمعدلات أعلى من ذي قبل، إلا أن معدل الموافقة لا يزال قريباً من الأغلبية بنسبة 65 %. ولا تزال 22 ولاية تجيز العقوبة البدنية في المدارس. يضعنا ذلك ضمن أقلية.

- أوروبة. في أيسلندة وبولندة وهولندة ولوكسمبورغ وإيطالية وبلجيكة والنمسة وفرنسة وفنلندة وروسية والنرويج والبرتغال والسويد والدانمرك وقبرص وألمانية وسويسرة وآيرلندة واليونان والمملكة المتحدة، تم حظر العقوبة البدنية رسمياً في المدارس؛ وفي العديد من تلك الدول، تم حظرها أيضاً في البيوت. حتى في المملكة المتحدة، التي أقرت سنة 2004 قانوناً يضمن حق الوالدين في ضرب الأبناء، ربما هناك استعداد الآن للتراجع عن ذلك. وجدت دراسة قام بها «اتحاد عدم ضرب الأولاد» أن 71 % من الراشدين البريطانيين يفضلون الآن منح الأولاد الحماية نفسها من الاعتداء مثل الراشدين.
- إفرِيقيَّة. تم حظر العقوبة البدنية في المدارس في ناميبية، جنوب إفرِيقيَّة وزيمبابوي وزامبية وكينية.
- آسية. كانت حكومات اليابان والصين وتايلاند وتايوان قد أبلغت المعلمين بضرورة ترك العصا واللجوء إلى بعض العقوبات الأخرى بدلاً من ذلك.

obeikandl.com

(بالطبع، في سنة 1994، كانت سنغافورة مستعدة لضرب أمريكي يبلغ من العمر 18 سنة علانية لتخريبه بعض السيارات).

لهذا تعد أمريكة قاسية حقاً، عندما نتحدث على نطاق عالمي، فيما يتعلق بضرب الأولاد، لكن عندما يتعلق الأمر بالتشديد على الواجبات المدرسية، ربما نحن مهملون نسبياً. وفقاً لدراسة أجراها مركز بيو Pew سنة 2006، يعتقد 56 % من الأمريكيين أن الآباء لا يضغطون كثيراً على الأبناء للتفوق في المدرسة. لكن في الصين، والهند، واليابان -بلاد معروفة ببيئاتها التعليمية التنافسية- تقول الأغلبية العظمى من الآباء: إنها تضغط كثيراً على أبنائها.

وبالطبع، يحقق الطلاب الآسيويون نتائج في بعض الامتحانات الدولية أفضل من الطلاب الأمريكيين. احتلت الولايات المتحدة المرتبة 24 من 29 بلداً في اختبار رياضيات عالمي سنة 2003، بعيدة تماماً عن اليابان والصين. هل يمكن أن يكون لهذا علاقة بحقيقة، كما اكتشفت مؤسسة راند Rand ومعهد بروكنغز Brookings، أن الطالب الأمريكي النموذجي يقضي أقل من ساعة في اليوم لأداء فروضه المدرسية؟

ربما ينبغي أن نحتفظ بالعصا وندلّل المعلمين - ونجعل الأطفال يجلسون ويؤدون وظائفهم.

obeikandl.com

شواذ يظهرون لاحقاً

في آب 2004، وقف حاكم نيوجرسي جيمس مكغريفي أمام مراسلين محليين، وشركات الصحافة القومية، و300 مليون مشاهد تلفاز؛ ليعلن أنه سيستقيل لأنه يقيم علاقة مع رجل وسيجعله ذلك عرضة «مزاعم زائفة وتهديدات بكشف سره».

كانت هناك الكثير من القصص الأخرى التي تتحرك مثل دوّامة. هل تمت إساءة استعمال الأموال العامة لتوظيف الحبيب كـ «خبير أمني» فيما لم يكن الرجل يتمتع في الواقع بأي خبرة؟ هل كانت العلاقة إساءة استعمال للسلطة؛ لأنه كان قد عمل لصالح الولاية؟ هل يمكن الوثوق بسياسي كذب بشأن الجنس في أي قضية أخرى؟

لكن هناك قصة أخرى لم تأخذ حقها من النقاش: دينا ماتوس مكغريفي. كانت زوجة الحاكم، تقف وفية له في أثناء إعلان زوجها. قال مكغريفي: «حقيقتي أنني أمريكي شاذ»، في حين كانت زوجته منذ أربع سنوات، ووالدة ابنتهما التي تبلغ من العمر سنتين، تراقب ما يجري بابتسامة متكلفة.

كان مكغريفي وماتوس قد التقيا سنة 1996، بعد أن كان مكغريفي قد انفصل عن زوجته الأولى. كانا قد مشيا معاً إلى سيارتها، وتبادلا القبلات في الليلة نفسها. بعد أربع سنوات من التودد، تزوجا في احتفال صغير في ودبريدج، فيرجينيا، تبعه حفل استقبال في فندق هاي آدمز Hay Adams الأنيق الذي يطل على البيت الأبيض (حيث ربما كان مكغريفي، الذي سيصبح حاكماً قريباً، يطمح لأن يعيش يوماً ما). بعد سنتين، احتفلا بولادة الصغيرة جاكلين. والآن، بعد أربع سنوات تقريباً من زواجهما، على التلفزة القومية، كان جيم مكغريفي، بعمر 47 سنة، يعلن للعالم أنه شاذ.

مثل هؤلاء الشواذ الذين يظهرون لاحقاً قوة متنامية في أمريكة. بالرغم من أنه من الصعب تحديد أعدادهم بدقة، إلا أن الخبراء يعتقدون أن هناك على الأقل 2 مليون

لوطي وسحاقية كانوا فيما مضى متزوجين أشخاصاً من الجنس الآخر أو لا يزالون كذلك. وفقاً لدراسة قامت بها وزارة الصحة الأمريكية والمؤسسة القومية للخدمات البشرية سنة 2002 عن النمو العائلي، قال 3.4 % من الرجال المتزوجين حالياً والذين تتراوح أعمارهم بين 15 و44 – أو قرابة 900.000 – : إنهم أقاموا علاقة جنسية مع رجال آخرين (بالرغم من أنه ينبغي ملاحظة أن مثل ذلك الإعلان أوسع من الإعلان بأن المرء شاذ). عندما تضيف رجالاً كانوا متزوجين فيما مضى، تحصل على ما يزيد على 1.2 مليون رجل في أمريكة متزوجين أو كانوا كذلك وقالوا: إنهم أقاموا علاقة مع رجال آخرين.

معظم الشواذ الذين يظهرون لاحقاً، كما يبدو، لا يرتبطون بالزواج عن سوء نية. يدرك بعضهم ما يحدث معهم في وقت لاحق؛ وكانت دراسة واحدة على الأقل قد اكتشفت أن 1 من كل 5 رجال شواذ متزوجين كانوا قد تجاوزوا 40 سنة عندما اختبروا أول علاقة لواط. يشك بعض الشواذ في الأمر، لكن الأمر يتضح فقط بعد سنوات من الكفاح مع حقائقهم الداخلية. لا يزال بعض الشواذ يظهرون ضد إرادتهم، غالباً نتيجة وجود زوجة تكتشف خلاعة لواط أو رسائل بريد إلكتروني جنسية صريحة على حاسبهما. أو، كما في حالة الحاكم مكغريفي، من الحبيب نفسه. تذكّر قسيس كولورادو تيد هاغارد، الذي قرّر حبيبه بعد عدّة سنوات أخيراً أن الكيل قد طفح من أحاديث هاغارد العلنية ضد الشذوذ! عندما فضح المومس مايك جونز هاغارد سنة 2006، كان الأخير في عمر 50، متزوجاً منذ 28 سنة، ولديه خمسة أولاد.

أفترض أن الشواذ الذين يظهرون لاحقاً أصبحوا «رسمياً» ظاهرة قومية في سنة 2004 عندما قدّمت أوبرا وينفري حلقة من برنامجها بعنوان «زوجي شاذ».

من أين يأتي الشواذ الذين يظهرون لاحقاً؟ يبدو أن الارتفاع في أعدادهم على صلة مباشرة بزيادة قبول الشذوذ. عندما كان معظم هؤلاء الرجال في المدارس الثانوية، كان أقل من 30 % من الأمريكيين يعدون الشذوذ «نمط عيش بديل مقبول». الآن، في سنة 2006، انعكست النسبة، وتقول أغلبية كبيرة من الأمريكيين: إنه لا بأس بالأمر. يقول 88 % من الأمريكيين: إنه ينبغي أن يحصل الشواذ على حقوق متساوية في أماكن العمل،

ارتفاعاً من نسبة 56 % سنة 1977. وكانت مجموعات دعم اللوطيين والسحاقيات قد انتشرت في كل مكان تقريباً من أمريكة.

لهذا ما كان يبدو مستبعداً قبل سنوات مضت -عندما كان الناس يربطون الشذوذ بتجارب قديمة، أو أوهام خاصة، ويسيرون على الممر مع امرأة أو رجل يهتمون به حقاً- قد أصبح الآن ممكناً؛ ويحصل باستمرار، وتقوم به أعداد متزايدة من الناس.

رجال، كما يبدو، أكثر من نساء. يعزى السبب إلى وجود لوطيين أكثر من سحاقيات، ووفقاً للخبراء، فإن النساء أبطأ في الانتقال من اكتشاف أنهن سحاقيات إلى طلاق فعلي. بالتأكيد، زوجة روس، وهي في صحبة أصدقائها تركته من أجل امرأة جذابة التقتها في صالة الرياضة، والأم في السيرة الذاتية لأوغستين بوروغو الأكثر مبيعاً سنة 2002 بعنوان الجري مع المقصّ (أدت الدور آنيت بينينغ في فيلم سنة 2006) كان لديها علاقات سحاقية في منتصف حياتها. لكن في الحياة الحقيقية، الموقف الأكثر شيوعاً هو مثل دينيس كويد في فيلم سنة 2002 بعيداً عن الجنة. رجل متزوج في ضاحية. طفلان. حياة مدنية مميزة. جاذبية للشواذ لا يمكن تجاهلها. أعلن الأمر بعمر 40.

للوطيين الذين يظهرون لاحقاً في أمريكة احتياجات، خاصة ضمن مجتمع الشواذ. على الرغم من أن الإفصاح عن الأمر سيكون أسهل للمراهقين، وللذين لم يتجاوزوا العشرين، لا يزال الرجال في «منتصف العمر» الذين يعلنون ذلك أول مرة يشعرون بانزعاج كبير - ناهيك عن ذكر ظهورهم الجديد في مشهد الشواذ. يسرد مبتكر الموقع الإلكتروني www.comingoutat48.blogspot.com أنه عندما بدأ حياته الجديدة بوصفه رجلاً شاذاً، لم تكن لديه فكرة عما يرتديه للذهاب إلى المشارب، وكان يصل إلى هناك مبكراً جداً. خصص مسلسل ويل وغريس Will & Grace عدّة حلقات على الأقل عن قيام ويل أو جاك «برعاية» شاذ ظهر لاحقاً في مجتمعهما.

لكن إذا نحينا احتياجات الشواذ الذين يظهرون لاحقاً جانباً، لا يمكننا وصف كيف يغير هؤلاء عالم أزواجهم وأطفالهم. وفقاً لدراسة سنة 1990 عن «التنظيم الاجتماعي للعلاقات الجنسية» (التي أثبتتها بيانات النمو العائلي المذكورة سابقاً)، هناك نحو 3

ملايين امرأة كانت أو لا تزال متزوجة من رجل ينام الآن مع رجل آخر. إضافة إلى ذلك، هناك نحو 3.5 ملايين طفل أعلن آباؤهم أنهم شواذ في مراحل لاحقة من حياتهم. نتكلم عن الأحاديث الجنسية الصعبة مع الأم والأب.

الأزواج الأسوياء الذين يجدون أنفسهم وحدهم لديهم مرجع في «شبكة الأزواج الأسوياء العالمية»، التي تنسّق عمل قرابة ثمانين مجموعة دعم في الولايات المتحدة والخارج. موقعها الإلكتروني هو www.straightspouse.org، وتفيد التقارير أن عدد زواره يصل إلى 300 في اليوم. والمساندة ضرورية. وفقاً للخبراء، يمر أزواج الشواذ الذين يعلنون عن ذلك لاحقاً بكل المراحل التي يختبرها المرء عند موت شخص يحبه - غضب، حزن، إنكار، ثورة. أحياناً، هناك شيء يدعو للارتياح ويأتي على شكل «لم يكن أنا، وإنما هو». أحياناً هناك خوف، خاصة فيما يتعلق بالأمراض المنقولة جنسياً والإيدز. لكن دائماً تقريباً، بالنسبة لزوجة سوية يتركها شاذ، هناك رفض، شعور بالإذلال، والخيانة، وأحياناً إرغام المرء نفسه على إعادة تقويم حكمه، واستيعاب الحقيقة.

كل هذا، في حين على المستوى العملي، يعمل الزوجان أيضاً على قضايا الانفصال، اختبار فرصة البقاء معاً على أي حال (وهو ما يفعله ثلث الأزواج)، و/أو اختبار مشاعر مختلطة عند السعي لإقامة علاقات جديدة. تجد الكثير من الزوجات السويّات أنفسهن حبيسات فضائهن الخاص حتى ينتشر النبأ علانية - يكون عليهن عندها تحمّل الكثير من الأسئلة الصعبة من أصدقاء وأهل وزملاء وأولاد. بالتأكيد، ينضممن آنذاك إلى صف الزوجات المذهولات لكل من أوسكار وايلد، وروك هدسون، وإلتون جونز - لكن ذلك لا يعالج الألم.

يعصف مليونان من الشواذ الذين يظهرون لاحقاً بحياة 4 ملايين راشد على الأقل - لكنهم يغيرون أساساً ما كان شيئاً ثابتاً لكل شخص آخر. يعاني الزواج في أمريكة من وقت صعب بما يكفي هذه الأيام، مع قيام 7.5 فقط من كل ألف شخص بالزواج، انخفاضاً من 10.6 سنة 1980. لكن الآن حتى الأشخاص الذين يطمحون للزواج، يلتقون شخصاً مناسباً، ويسيرون معه في الواقع على ممر الزفاف، لديهم مشكلة جديدة ينبغي عليهم التعامل معها. في أثناء خمس عشرة سنة، هل سيكون زوجهم شاذاً يعلن عن نفسه

آنذاك - أو أسوأ، يحافظ على شذوذه سراً؟ هل يمكن أن يقول: إنه يحب -وإنه في الواقع لا يرغب في امرأة أخرى- ويترك زوجته من أجل شغف أكبر عندما يصبح في عمر 45؟ كيف يمكن معرفة الشاذ مباشرة وفوراً في حين لا يزال الثنائي يتواعدان؟

ربما سترغب مواقع المواعدة الإلكترونية، وخدمات استشارات الزفاف، في إضافة بعض الأسئلة بشأن التفضيل الجنسي. الأمل أن يخضع كل شخص اليوم لكل أنواع الاختبارات الشخصية لمعرفة من يناسبه، طريقة توقع (وفض) نزاعات العلاقة، وكيفية زيادة فرص السعادة الزوجية. ربما لن تكون فكرة سيئة أن يتأكد المرء من ميول أشخاص آخرين قبل أن يبدأ البحث عن شريك.

إذا استمر التسامح مع الشذوذ في الارتفاع في أمريكة، فسينخفض عدد الشواذ الذين يظهرون لاحقاً بناءً على نظرية أن الشاذ سيكون مجرد شخص عادي، وسيقطع ذلك الطريق على زواجه من شخص سوي. عملياً، إذا حظي زواج المثليين بموافقة كبيرة، فلن يفقد الشواذ شيئاً باختيار شركاء من الجنس نفسه، وسيعاني الأزواج الأسوياء ألماً شديداً. (كما كان الكوميدي جاسون ستوارت قد قال: «أتمنى منكم أنتم الأشخاص الأسوياء أن تسمحوا لنا نحن الشواذ بالزواج. إذا فعلتم ذلك، فسنتوقف عن الزواج بكم!»).

لكننا لن نشهد ذلك اليوم قريباً في أمريكة. لا يزال 51 % من الأمريكيين يعدون الشذوذ «خطأ أخلاقياً» وقرابة 60 % يعارضون زواج المثليين. يظن العديد من الأمريكيين (36 %) أن قبول الشواذ ينبغي أن يكون أقل، لا أكثر. وطالما أن الشواذ طبقة ثانية في أمريكة، سيتخلى عدد كبير من الأشخاص الذين لديهم مثل تلك الميول عنها لصالح الزواج بالجنس الآخر، حيث في ذلك تحصين نقي، وأطفال يولدون على نحو طبيعي. لكن إذا عادت تلك الميول، بعد سنوات، مرة أخرى أو ظهرت بطرق جديدة، فسيكون هناك أخبار عاجلة عن ميولهم الجنسية - وميول كل شخص آخر.

obeikandi.com

أبناء بررة

ذكور يعتنون بأقربائهم في أمريكة

في هذا الوقت، نعرف جيداً أن الأمريكيين يعيشون مدة أطول - يُتوقع أن يعيش شخص يولد اليوم إلى ما بعد 70 سنة، مقارنة بتوقع مدة الحياة التي كانت تبلغ 47 عاماً لشخص ولد سنة 1900. والعيش حتى يبلغ المرء الثمانين أو التسعين من العمر يزداد.

نعرف أيضاً أنه عندما يموت الناس، يفعلون ذلك ببطء - يعانون حالات عضال مثل أمراض القلب والزهايمر، وليس من بعض الأمراض القاتلة بسرعة، كما في الماضي.

نتيجة لذلك، ينتهي الأمر بمعظم كبار السن بحاجة إلى نوع من العناية في نهاية العمر، وبالرغم من ذلك، وبخلاف الاعتقاد الشائع، لا يذهب سوى القليل منهم إلى دور الرعاية أو مراكز المساعدة. في الواقع، فقط 4 % من الناس الذين يبلغون من العمر 65 أو أكبر يعيشون فعلاً في مثل تلك الأماكن. الأغلبية العظمى من كبار السن الذين يحتاجون إلى الرعاية إما يحصلون عليها في المنزل من أقارب دون تكلفة، أو ينتقلون للعيش مع أحد أفراد العائلة. ولمدة تتراوح بين أربع وخمس سنوات. يشكل ذلك عبئاً ثقيلاً على الذي يتكفّل بالرعاية.

الواضح أن معظم عبء تقديم الرعاية في أمريكة يقع على عاتق النساء. هناك تعبير عن المرأة التي تعمل وتتوقف مؤقتاً عن ذلك لرعاية والد طاعن في السن: «درب الابنة» - انعكاساً من «درب الأم» الذي ظهر قبل عشرين سنة مضت، عندما تخلّين مؤقتاً عن حياتهن المهنية للعناية بأطفالهن.

لكن على الرغم من أن النساء يتولين أمر معظم الرعاية، والمزيد من العناية المكثفة، إلا أن هناك مجموعة متزايدة -وربما تكون قوية- من مقدمي الرعاية مجاناً في أمريكة

من الرجال. وفقاً لدراسة سنة 2004 قام بها الاتحاد القومي لمقدمي الرعاية والمنظمة الأمريكية للمتقاعدين، نحو 40 % من 44 مليون شخص في أمريكا يعتنون مجاناً براشدين عجزة هم من الرجال. هذا يعني نحو 17 مليون ابن، وصهر، وابن أخ، وشقيق، وزوج يهتمون بمن يحبونهم في أوقات «فراغهم». في أثناء التسعينيات، كانت المجموعة الأسرع نمواً من الأقارب الذين يعتنون براشدين عاجزين أبناء.

ولا يقتصر الأمر على زيارة في عطلة نهاية الأسبوع لمساعدة الأب على نقل الأريكة القديمة التي لم يعد يستطيع رفعها بنفسه. يقضي رجال يعتنون بأقاربهم في أمريكا ما معدله تسع عشرة ساعة أسبوعياً مع أحبائهم العجزة. ويقضي بعضهم ساعات أكثر من ذلك: نحو ثلث مقدمي الرعاية لأقارب يحتاجونها هم رجال.

هناك بعض الميزات لـ «أبناء بررة» تميزهم عن أخواتهم البررة، ويمكن أن يكون لذلك في نهاية المطاف أهمية سياسية. ينحو مقدمو الرعاية الرجال إلى عدم التوقف مؤقتاً أو الامتناع عن العمل، وهم على الأرجح (60 إلى 41 %) يعملون بدوام كامل، مع كل الموارد الإضافية والنفوذ الذي يتضمنه ذلك. يساعد مقدمو الرعاية الرجال غالباً رجالاً آخرين – 35 % مقارنة بـ28 % فقط من مقدمي الرعاية النساء اللواتي يفعلن ذلك. ثالثاً، أكثر مما تفعله النساء، يختار مقدمو الرعاية الرجال موقفهم: يقول ثلثا هؤلاء: إن لديهم خياراً في القضية، مقارنة بأقل من 3 من كل 5 نساء.

أمر آخر مثير للاهتمام هو أن نسب «أبناء بررة» من الآسيويين لا تتناسب مع ما ذكرته أعلاه. 54 % من مقدمي الرعاية الأمريكيين –الآسيويين رجال– مقارنة بـ 41 % فقط من اللاتين، 38 % من البيض، و33 % من الأمريكيين – الأفارقة. بالفعل، يشكل الأمريكيون – الآسيويون المجموعة الفرعية الوحيدة التي يشكل فيها الرجال الذين يقدمون الرعاية أغلبية. ينبثق ذلك دون شك من القيمة الآسيوية الجوهرية بطاعة الأبناء للوالدين التي تعود إلى كونفوشيوس، والثقافة الآسيوية التقليدية التي تقع في قلب تطور الشخص الأخلاقي. النتيجة هي أنه في العائلات الآسيوية، يُتوقع من الابن البكر عادة العناية بوالديه.

أخيراً، العديد من مقدمي الرعاية الرجال شواذ. ظهر مقال مثير في نيويورك تايمز في كانون الأول 2006 لبيتر نابوليتانو، رجل يبلغ من العمر 48 سنة، عازب، وشاذ والذي نقل مقر إقامته للعناية بوالدته التي تبلغ من العمر 81 سنة - أساساً لأن شقيقه السوي وزوجته لا يمكنهما استقبال أمهما في أسرتهما.

لهذا ربما يتحمل الرجال ذلك العبء - العديد منهم يهتمون كثيراً عندما يتعلق الأمر بالأمهات والآباء والأزواج والشركاء. الواضح أنه لدى الرجال الأمريكيين -الآسيويين الكثير ليعلموه لبقيتنا، لكن هذا النمو في «أبناء بررة» يدل على تحولات أكثر عمقاً في المشهد العام. بالرغم من أنها إحدى الوصايا العشر أن تعتني بوالدك ووالدتك، إلا أن أمريكة لا تركز في الواقع على طاعة الأبناء للآباء كقيمة أساسية. تركز أمريكة أساساً على العناية بالأطفال، ونتكلم دائماً عن الجيل اللاحق، وليس السابق. إن تركيزنا على المستقبل نقطة قوة لنا - لكن ربما يكون ذلك أحياناً على حسب آبائنا.

كما رأينا مع آباء جدد طاعنين في السن، متقاعدين عاملين، ومجموعات أخرى في هذا الكتاب، سيقوم هذا الجيل الأكبر سناً بفعل ما هو أكثر من لعب الغولف - سيعيشون مدة أطول، يسهمون على نحو أكبر في حياة أولادهم، ويطورون بمرور الوقت صلات أكثر عمقاً معهم. لهذا إحصائياً، ستأخذ قضية العناية بالوالدين حيزاً أكبر في حياتنا وحياتهم. هذا يعني أنه على الرغم من ازدياد أعداد «أبناء بررة»، إلا أن ما نحتاجه فعلاً لتفادي التصادم بين الأجيال هو أن ترى الأجيال المقبلة مسؤولياتها من وجهة نظر أوسع من «دفع الأمور إلى الأمام». لا يزال النظر إلى الخلف فكرة حقيقية تماماً، وعلى نحو متزايد، ينبغي أن ننغمس في مجتمعنا وقيمنا.

يحتاج «أبناء بررة» إلى مساعدة أكبر مما يحصلون عليها. مثل مقدمي الرعاية النساء، يحتاجون إلى المزيد من خبراء التعامل مع الشيخوخة للمساعدة في إرشادهم عبر متاهات الرعاية الصحية؛ إيجاد من يحل محلهم إذا تطلب منهم عملهم الخروج من البلدة؛ ونوع التدريب الطبي الضروري للعناية بمن يحبون بعد إخراجه من مستشفى أو انتهاء مدة تمريض قصيرة الأمد في المنزل. لا تقدم كثير من أماكن العمل أي ميزات

حقيقية للعناية بكبار السن، وبرغم أن العناية بالكبار مشمولة بقانون «الإجازات العائلية والطبية»، إلا أن إجازة «العناية بالوالد» لم تصبح ثقافة عامة مثل إجازة الأمومة. ولا يناسب نموذج إجازة الأمومة حقاً العناية بكبار السن. يمكنك وضع مخطط لاحتياجات نمو أطفال بين 0-3 سنوات وخطة للتحول إلى الرعاية في أثناء النهار أو المدرسة. أيضاً، هم يعيشون معك. يمكن أن يوجد الوالدان بعيداً عنك، لا يمكنهما تلبية احتياجاتهما الصحية، ولا يستطيعان بالتأكيد توقع مدة أو نوع الرعاية التي يحتاجانها.

لكن يستطيع «أبناء بررة» أيضاً الاستفادة من بعض الدعم المخصص لهم فقط. نظراً لأنهم قد لا يكونون على الأرجح من يعتني أساساً بالأولاد، ربما يجدون العناية ببشر حسّاسين، محبطين، لا يقدّرون أحياناً ما يفعلونه من أجلهم -حتى أولئك الذين يحبونهم- أكثر إثارة للغضب مما تجده النساء. عندما يكون عدد الأشقاء قليلاً، ربما يجد هؤلاء تعاطفاً أقل عندما تجعلهم التزامات العناية بالأم أو الأب يأتون متأخرين، يغادرون باكراً، أو يفقدون العمل بأكمله.

ربما يكون الوالدان، خاصة الآباء، قساة على الصبيان في أثناء تدهور صحتهم أكثر من البنات. ربما يواجه الرجال الشواذ، خاصة، مجموعة من القضايا المعقدة في أثناء عنايتهم بوالديهم الذين، ربما إلى حدٍ ما، لا يقبلون بهم تماماً.

بعض المساعدة في طريقها إليهم. في أواخر سنة 2006، أقر مجلس النواب «قانون الرعاية طوال العمر»، وخصص نحو 300 مليون دولار منحة للولايات والوكالات المحلية للمساعدة في تقديم خدمات لأشخاص يعتنون مدة طويلة بأفراد عائلاتهم.

لكن بالطبع، هناك كثير مما ينبغي فعله. ثلاث مئة مليون دولار بداية جيدة، لكن الرعاية التي يقدمها أفراد العائلة تُقدّر بنحو 300 مليار دولار. لقد بدأنا ندرك مشكلة تنتشر بسرعة، وبدأنا تقويم الموارد اللازمة لتأمين الرعاية الصحية في المنزل التي نحتاج إليها للقيام بذلك على نحو صحيح.

تحديداً، فيما يصبح الأمريكيون أكبر سناً، وفيما يتراجع عدد المختصين بالشيخوخة، نحتاج إلى إدراك أكبر أن المزيد من الأمريكيين في عمر 50 يعتنون في أمريكيين في أعمار

70 و80 سنة – ويحتاج هؤلاء إلى ترتيبات مناسبة في أماكن العمل. يمتلك «أبناء بررة» القوة والقدرة لتحويل ما كان يتم عده سابقاً «قضية نساء» فقط إلى قضية اجتماعية واسعة يمكنها أخيراً تحريك المشهد السياسي لوضع الأمر على الطاولة إلى جانب الرعاية الصحية والضمان الاجتماعي.

والاهتمام مطلوب. في سنة 1997، خسرت شركات بين 11 و29 مليار دولار بسبب عمال يتركون وظائفهم، يغيبون عنها، وتوقف الأعمال نتيجة قيام موظفين بالاعتناء بأقارب عجزة. ينبغي أن يرى صانعو السياسة العامة القيمة في ذلك الإسهام «المجانية» لمقدمي الرعاية التي تبلغ قيمتها 300 مليون دولار. إذا لم يقم الأبناء والبنات الراشدون بهذا العمل، فمن سيتولى أمور كبار السن في أمريكة؟ نظام الضمان الاجتماعي الذي ينوء بالفعل تحت ثقل أعبائه؟

يُقال: إن المرشح الديمقراطي للرئاسة جو ليبرمان كان يتواصل مع والدته كل يوم حتى توفيت سنة 2005 عن عمر يناهز 90. كان تيدي روزفلت إلى جانب والدته عندما توفيت. فيما يحظى المزيد من «الأبناء البررة» بشرف العناية بآبائهم وأمهاتهم، سيضيفون بعداً أخلاقياً آخر إلى الحياة في أمريكة– بعدٌ ربما يضمحل شيئاً فشيئاً.

obeikandl.com